

مؤسسات الفضاء العمومي واستراتيجيات نشر الفكر التحرري في الجزائر خلال الفترة (1830-1954) مقارنة اتصالية-تاريخية

Public space institutions and strategies for spreading libertarian thought in Algeria in
the period (1830-1954) a communicative-historical approach

سليمان شريفة¹

جامعة ابن خلدون – تيارت- الجزائر ، slimanicherifa81@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/01/25 تاريخ القبول: 2022/03/18 تاريخ النشر: 2022/06/01

ملخص:

لعبت مؤسسات الفضاء العمومي الجزائرية خلال الفترة الاستعمارية الفرنسية دوراً أساسياً ومحورياً في القضاء على الأفكار الإدماجية والتمسحجية والتغريبية التي سعت فرنسا جاهدة ترسيخها في الجزائر. فمؤسسات الفضاء العمومي صنعت الوعي الحقيقي وقضت على مختلف الافخاخ التي حاولت فرنسا التلاعب بواسطتها. ان مؤسسات الفضاء العمومي خلال الفترة الاستعمارية (المساجد، الكتاتيب، الزوايا، الأسواق، الساحات العامة، المسرح، الملاعب، الشعر الشعبي، البراح، الموسيقى، الصحافة، الكتابات الأدبية، الخطابات السياسية) عملت على تجنيد الشعب لإشعال الثورة وترسيخ الروح الوطنية ومحاربة كل ما هو استعماري وايصال صوت الجزائر الى الخارج واستطاعت ان تكون راي عام عالي مناهض للاستعمار الفرنسي في الجزائر. كلمات مفتاحية: الفضاء العمومي، الجزائر، الحرية، الوعي، الكفاح، الاستقلال.

Abstract:

The Algerian public space institutions active during the French colonial period played a key and pivotal role in eliminating the assimilationist, Christian and Western ideas that France had striven to establish in Algeria. Public space institutions created real awareness and eliminated the various traps through which France tried to manipulate.

The institutions of public space during the colonial period (mosques, schools, corners, markets, public squares, theatre, stadiums, folk poetry, al-Barah, music, the press, literary writings, political discourses) worked to mobilize the people to ignite the revolution and consolidate the national spirit and fight all that It is a colonialist and conveys Algeria's voice abroad, and it was able to form a global public opinion against French colonialism in Algeria.

Keywords: public space, Algeria, freedom, awareness, struggle, independence.

*المؤلف المرسل

1. مقدمة :

ان دراسة مؤسسات الفضاء العمومي الجزائرية ونشاطها واستراتيجياتها خلال الفترة 1830-1954 من المواضيع التي تساعد الباحث والمتفحص لتاريخ الجزائر المعاصر في التمكن من معرفة خصوصية المجتمع الجزائري وكذا اكتشاف مختلف السبل الاتصالية التي تم الاعتماد عليها للمحافظة على هذه الخصوصية خلال هذه الفترة، كما يمكنه أيضا من استنباط مختلف الاستراتيجيات الاتصالية المتبعة لغرس الأفكار التحررية وسبل واليات نشر الوعي السياسي و تحقيق الالتفاف الشعبي حول الثورة التحريرية الكبرى والتي كانت نتيجة عمل اتصالي وتواصلي كبير .

وللإجابة على هذه الإشكالية اتبعنا مقاربة اتصالية تاريخية قسمنا من خلالها بحثنا الى مرحلتين أساسيتين: المرحلة الأولى تحدثنا فيها عن خصوصية مؤسسات الفضاء العمومي في فترة المقاومة الشعبية اما المرحلة الثانية فتطرقنا فيها الى مؤسسات الفضاء العمومي والحركة الوطنية. وقبل الولوج الى هاتين المرحلتين حاولنا ابراز التصور الهرماسي لمفهوم الفضاء العمومي واهميته.

2. الفضاء العمومي الهرماسي:

يعد الباحث الألماني هيرماس من الأوائل الذين تحدثوا عن الفضاء العمومي الاتصالي واعتبره " ذلك الحيز المعنوي الذي تتم فيه عقد النقاشات العامة من اجل اتخاذ القرارات التي تسير الشأن العام ... " (A.Cottureau et Paul ladrière,1992,35) ، فقد اولى هيرماس من خلال تناوله لمفهوم "الفضاء العمومي" اهتماما كبيرا لحقل الاتصال حيث وضع نظرية اجتماعية عامة تقدم المجتمع على انه " نموذج اتصالي " اساسي وقاعدي، فأعطى هيرماس اهمية قصوى للاتصال وسلطته في انتاج المعنى والافعال بين افراد المجتمع، حيث يشترط ان لا يكون (الاتصال) مسيطر عليه من طرف قوى سياسية او ادارية بل لابد ان يتمتع بالحرية في التحرك والانتقال والحرية في تأدية الوظيفة والدور الذي انشئ من اجلهما، فاذا تغلبت سلطة الاتصال يستطيع هذا الاخير ان يبني علاقات

تفاهمية تفاعلية بين الافراد ضمن او داخل فضاء عمومي مستقل. والسلطة الاتصالية عند هبرماس تمكن من تكريس الارادة الشعبية التي يتصورها تصور معياري **Normatif** للفضاء العمومي..، تأكيداً منه ان الشعب هو المانح الأول لشرعية الحاكم وللسلطة السياسية، لذلك نجده يقول " الفضاء العمومي تصور عقلائي مرتبط بالسلطة والممارسات الجماعية، التمثيل او الشرعية ، وهو يعمل على تهذيب السياسة ونقدها ويبحث عن تجسيد سلطة الافراد والجماعات " (**A. Cottureau et Paul ladrière, 1992, 36**).

يعتبر هبرماس الفضاء العمومي مفهوما معياريا او قاعديا وذلك انطلاقاً من انه يحمل في طياته مثلاً وقيماً مختلفة يحاول من خلالها وباستعمالها تنظيم العملية الاتصالية -السياسية بين الافراد وذلك لتنظيم المجتمع وسريانه، لان الاتصال أساسه الحوار، التفاهم والنقاشات الحرة والعامة والتي هي بحاجة الى فضاء تتم من خلاله عملية التبادل والتواصل الجماعي ويقول هبرماس " ان السلطة الاتصالية بحاجة الى فضاء عمومي من اجل الوجود" (**A. Cottureau et Paul ladrière, 1992, 35**)، لأنه يعتبر " الفضاء العمومي وحدة بناء للنظام الديمقراطي " (**A. Cottureau et Paul ladrière, 1992, 36**) والديمقراطية بالنسبة اليه مرتبطة بالحكمة والتعقل في طرح القضايا داخل فضاء اتصالي اساسه استعمال اللغة ذات المعنى والهدف التفاهيمي المتبادل بين الاطراف الفاعلة في هذا النقاش.

ان اساس تطور المجتمع الاوربي وتنظيمه هو الاتصال وعلاقاته بمفاهيم الديمقراطية، علاقاته في الربط بين اجهزة ومؤسسات الدولة، علاقاته في بناء الحوار والتفاهم والنقاش بين الافراد، من جهة خاصة بالنخبة وبين الافراد والسلطة السياسية من جهة اخرى، بهذا ساعد الفضاء العمومي في فهم حركية وتطور النموذج الغربي.

3 - مؤسسات الفضاء العمومي الجزائري والمقاومة الشعبية :

1-3 الفضاء العمومي الجزائري والسياسة الفرنسية:

اتسمت الساحة السياسية والاتصالية الجزائرية منذ 1830 بصراع شديد بين الجزائريين و الفرنسيين نظرا للاختلافات الدينية واللغوية والتاريخية والثقافية والاثنية بين الشعبين، وهذا ما عكسته سياسات وخطب قادة المقاومة الشعبية و القادة الفرنسيين ، ليعلن هذا الصراع ومنذ البداية عن اندلاع المقاومات الشعبية الجزائرية المسلحة الراضية للتواجد الكولونيالي في الجزائر والرامية الى المحافظة على الخصوصية الجزائرية والهوية العربية الإسلامية للجزائريين واهم هذه المقاومات : مقاومة الأمير عبد القادر الذي تزعم حركة المقاومة الجزائرية (1832- 1847)، ثورة الشيخ بوعمامة من (1881 – 1904 م) ، ثورة سيدي الشيخ (1871 – 1886) ، ثورة محمد بن تومي بوشوشة (1870 – 1874) ثورة المقراني والشيخ الحداد (1871) وثورات أخرى.

وعلى اعتبار ان الفضاء العمومي هو الحيز المعنوي الذي تناقش فيه القضايا العامة وتهيكل فيه الآراء والمواقف حاولت السلطات الفرنسية ومنذ البداية إعادة هندسته وبلورته وفقا للخصوصية الفرنسية، فعملت على سن قوانين ومراسيم تعمل على ادماج كل ما هو جزائري في فرنسي ، وذلك بالارتكاز على استراتيجية التشكيك في كل ما هو جزائري واعتبار الجزائر جزء من الكيان الفرنسي ولا وجود لشيء اسمه الجزائر وهذا ما جسده مختلف الخطب والقوانين الرسمية " (مرسوم 22 جوان 1834 الذي نص على اعتبار الجزائر جزء من الممتلكات الفرنسية ، مرسوم 04 مارس 1848 الذي نص على أن الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا ، قانون 14 جويلية 1865 الذي نص على اعتبار المسلمين الجزائريين رعايا فرنسيين ،مرسوم 24 أكتوبر 1870 الذي أصبحت الجزائر بموجبها تشكل 03 مقاطعات فرنسية و القوانين الفرنسية تطبق على الجزائريين المسلمين، مرسوم 29 مارس 1871 الذي نص على تعيين حاكم عام مدني في الجزائر خاضع لسلطة وزير الداخلية الفرنسية، قانون 29 مارس 1882 الخاص بإنشاء دفاتر الحالة المدنية

للمسلمين الجزائريين ، قانون 19 ديسمبر 1900 الذي يسمح للجلالية الأوروبية في الجزائر أن تنشئ المجلس المالي " (عمار بوحوش، 1997، 1950).

ان سياسة فرنسا كانت واضحة منذ البداية، وهي العمل على فرنسة وتمسيح الفضاء العمومي الجزائري وذلك بالسيطرة على اهم مؤسساته فقامت بعزل المشرفين على المدارس القرآنية في القبائل واسست ثلاث مدارس في كل من قسنطينة، البليدة وتلمسان بهدف تكوين نخبة مؤهلة موالية لفرنسا، بإعطائها ثقافة فرنسية تجعل منها أسهل اندماجا في فرنسا والقضاء على كيان الجزائر وهويتها (مالكي احمد، 1994، 185).

فعملت فرنسا جاهدة على الحط من الثقافة العربية الإسلامية بغلق المدارس العربية وأباحث هدم وتخريب المساجد وتحويل بعضها الى كنائس، وقضت على مختلف طبوع الفن في الجزائر ومنعت تعليم اللغة العربية واعتبرتها لغة أجنبية في أكثر من قانون، وهذا ما أكدته تصريح وزير الحربية في عهد الملك شارل العاشر، كلرمون طونر CLERMONT TANNERE " ... يمكن عندما نقوم في المستقبل بتمدين الأهالي، وتحويلهم إلى مسيحيين... فإن العناية الإلهية خصتنا بهذا النصر في الجزائر لجعل المواطنين مسيحيين.. " ومن اجل تجسيد أهدافها استغلت السلطات الفرنسية قطاع الصحافة كأحد اهم مؤسسات الفضاء العمومي للتواصل مع الرعايا الفرنسيين والاهالي الجزائريين، فكانت الصحافة السلاح الأول بعد العسكري الذي جندته فرنسا لتفكيك وحدة الجزائريين والتشكيك في هويتهم، وخلق جيل جديد يؤمن بالأفكار الغربية والثقافة الفرنسية، من خلال العمل على تشويه الدين الإسلامي وشن حملات التنصير عبر صفحات الجرائد المختلفة الناطقة باللغتين العربية والفرنسية، ومن اهم الصحف التي أصدرتها فرنسا في الجزائر (عواطف (عبد الرحمان، 1985، 26).

1- بريد الجزائر والتي تعتبر أول صحيفة في شمال إفريقيا صدرت سنة 1830، وكانت موجهة الجنود الفرنسيين.

2- المرشد الجزائري: صدرت بعد توقيف بريد الجزائر عن الصدور، حيث ظهر أول عدد لها يوم 27 يناير 1832، كانت تكتب بلغة عربية ركيكة، وتبلغ قرارات إدارة الاحتلال للجزائريين، فكانت تنقل من الصحف الفرنسية بعض المقالات التي تدافع عن احتلال الجزائر كما تابعت كل ما يكتب في الصحافة الفرنسية عن الجزائر، وكانت ترد بعنف على كل من يهاجم احتلال الجزائر وذلك تحت عنوان ثابت

"معرض الصحافة"، وقد استمرت هذه الصحيفة في الصدور أكثر من 50 سنة

3- النشرة الرسمية لعقود الحكومة: صدر العدد الأول منها في 20 أكتوبر 1834، تنشر عبرها القرارات الرسمية حتى 1858 حيث تغير اسمها إلى "النشرة الرسمية للجزائر والمستعمرات" حتى سنة 1861، لتصدر بعد ذلك باسم آخر "النشرة الرسمية للحكومة العامة"، واستمرت تصدر حوالي 66 سنة، وكانت جريدة أسبوعية مقسمة إلى ثلاث أجزاء: جزء مخصص للقوانين والقرارات، جزء مخصص للمراسيم والنصوص المختلفة، جزء مخصص للنصوص العربية.

4- جريدة المبشر: صدرت سنة 1848 باللغة العربية، على شكل أربع صفحات بحجم صغير، وكانت هذه الجريدة تحتوي إلى جانب التعليمات الرسمية والقوانين، بعض المعلومات والجوانب الثقافية وكانت النسخة العربية تعتبر ترجمة تقريبية ركيكة للنص الفرنسي من الصحيفة، كما أن الجزائريين الذين ساهموا في تحريرها لم يكونوا على قدر من الثقافة الأدبية إلا أن هذه الجريدة كان لها فائدة بالنسبة للجزائريين إذ قربتهم من مشاكل عصرهم ومن مشاكل الفن الصحفي.

5- جريدة النصيح: أصدرها إدوارد دبس لين وهو فرنسي مستشرق عام 1899، ولكنها لم تستمر أكثر من عدة أشهر، صدرت باللسان الدارج، هدفها كان التعريف بنشاطات الحكومة الفرنسية للجزائريين والدفاع عن حقوقهم والتحذير من أي تشدد اتجاء

السلطات الفرنسية ومن خلال هذا الخطاب حاولت إدارة الاحتلال وصرف نظر الجزائريين عن التفكير في الثورة ضد الاحتلال

6-جريدة الإحياء: صدرت سنة 1907، تناولت مواضيع ثقافية وكان خطاها يهدف إلى إقناع الجزائريين بأنهم مسلمين فرنسيين.

2.3 مؤسسات الفضاء العمومي ودورها في تعزيز المقاومة الشعبية :

كافح قادة المقاومة الشعبية الجزائرية وحاربوا السياسة الفرنسية منذ البداية ، فكانت الزوايا والكتاتيب والشعر الشعبي والأسواق والساحات العامة والجال والصحاري والمساجد والقرى والشوارع والبيوت كلها أماكن للتعبئة الشعبية من اجل المحافظة على الهوية الجزائرية ومقاومة الاستعمار الفرنسي، حيث كان زعماء المقاومة الشعبية يعدون قادة راي يمارسون سلطة روحية ومعنوية على الشعب الجزائري الذي لابد ان يكافح من اجل خصوصيته واستقلاله، وعليه فان هذه المؤسسات المجسدة للفضاء العمومي حاولت المحافظة على الخصوصية التاريخية والدينية والاجتماعية والاقتصادية وحاولت محاربة السيطرة التي فرضت عليها من قبل الحكومات الفرنسية آنذاك وذلك على النحو التالي :

1.2.3 الزوايا كأهم فضاء عمومي للتعبئة الجماهيرية:

اعتبرت الزاوية اهم مؤسسة فضاء عمومي رمزي خلال فترة الاحتلال الفرنسي فهي تعد فضاء روحاني مقدس لدى الشعب الجزائري وفيه تمارس طقوس دينية وعادات وتقاليد مثل " الوعادي" والمهرجانات والزيارات اليومية والاسبوعية بموجب العرف الاجتماعي الجزائري، فقد تميزت الزوايا بتمسكها الشديد بخصائص الثقافة وكل ما يميز الجزائريين عن الفرنسيين وهذا ما أكده بادي وغالييون في بحثهما الماركسية في الجزائر سنة 1976 " بان الزوايا ساهمت في تماسك الجماعة والإبقاء على الحس الوطني المشترك متخفيا في أعماق الشعب " (سعيد طالب محمود، 1994، 220).

ونظرا للسلطة التأثيرية الكبيرة للزوايا على نفسية وعقلية الجزائريين كان لزاما على زعماء الثورات الشعبية استغلالها لتحقيق التعبئة الجماهيرية ضد فرنسا ونشر الأفكار الثورية وحصد التأييد الجماهيري، فكانت الزوايا فضاء اتصاليا بامتياز لنشر الأفكار من زعماء الثورات الشعبية الى العامة من الناس.

مكن نظام الزوايا من تغذية الثورات الشعبية المختلفة ، وحافظ على الهوية العربية الإسلامية حتى اعتبرت " خزائن المقاومة وحصن العقيدة والتراث " (سعيد طالب محمود، 1994، 220)، وهذا ما ميز نشاط الشيخ بوعمامة الذي اعتمد منذ البداية على التأثير الروحي للزوايا على الجزائريين، حيث أسس زاويته في مغرار التحتاني عام 1876 لتكون بذلك الفضاء الذي دعا من خلاله إلى ضرورة العمل من اجل محاربة الاستعمار الفرنسي، والشيء الذي دعم قوة بوعمامة هو التفاف الجماهير حول زاويته مشكلا بذلك شعبية كبيرة في أوساط القبائل الصحراوية ، فكانت الزاوية " تقييم عروض للولاء، لم يكن تلقائيا إنما وليد خطة مرسومة" وكذا إقامة المهرجانات، وعقد مجالس للتوعية وتعليم القرآن ومبادئ الدين الإسلامي. كما لجأ بوعمامة إلى تقديم عروض سحرية مدهشة للمشاهدين وباهرة للزوار الشيء الذي مكن من الاعتقاد ببركات الشيخ، وهذا ما أكدته بعض التقارير الفرنسية بأن "الزوار لبوعمامة يرحلون عقلاء ويغدون مجانين " (مالكي أحمد، 1994، 243)

وعندما ادركت السلطات السياسية الفرنسية التأثير الكبير للزوايا على الجزائريين، شددت الخناق على هذه المؤسسات حيث فرضت رقابة شديدة على وسائط إعلامها، وطرائق تواصلها مع رعيته، واعتبرتها " مراكز للتوجيه والتربية السياسية ومحطات للإعلام عن الأوضاع في كل جهة وتبادل الأخبار المتعلقة بتحركات الجيش و الإدارة الفرنسية " (مالكي أحمد، 1994، 243)، لذلك عملت فرنسا جاهدة على تفكيك الزوايا من الداخل و الحد من تأثيرها، و" كسب تأييد مشيخة بعض الزوايا من جهة أخرى، وكذا محاربة الدين الإسلامي و القضاء على الثقافة و اللغة العربية، ... " (مالكي أحمد، 1994، 243)

2.2.3 الشعر الشعبي كوسيلة لتحقيق الالتفاف شعبي:

يعد الشعر الشعبي وسيلة اتصال وتواصل بين الأجيال فهو المرآة العاكسة لحياة المجتمعات وتاريخها بل يعد وسيلة تأريخ لمسيرة الشعوب والمجتمعات، كما يعتبر وسيلة اتصال قوية ومهمة تستغل في تمرير رسائل اتصالية وإعلامية تكون في غالب الأحيان مشفرة خاصة اذا تحدثنا عن شعر المقاومة او شعر الثورات، فكثيرا ما يعد وسيلة للتعبئة السياسية ووسيلة للدعاية والاعلام السياسيين لما له من تأثير كبير على نفسية الناس، وهذا ما دفعنا الى محاولة البحث عن خصوصية الشعر الشعبي الثوري الجزائري ودوره في تدعيم المقاومة الجزائرية خلال الفترة الاستعمارية، من خلال استنادنا على بعض القصائد الشعرية .

لقد كان الشاعر خلال الفترة الاستعمارية وقود المقاومة الجزائرية من خلال استخدامه لكلمات لا يقل تأثيرها عن وقع السلاح فالشعر الثوري تحول الى خطاب تاريخي سياسي هدفه التعبئة السياسية والتوعية والنصح والإرشاد ووسيلة لتحقيق الالتفاف شعبي حول المقاومات الشعبية المختلفة زمانيا ومكانيا، فكثيرا ما لجأ الشعراء الى مدح زعماء المقاومة الشعبية والاعتزاز والافتخار بنضالهم وهذا ما سجلناه في اكثر من قصيدة نذكر منها:

1- قصيدة الشاعر على بن الشرفي وهو يمدح زعيم مقاومة الزعاطشة الشيخ بوزيان (نصرالدين براشيش ، ص 126):

أصحاب بوزيان نمضلهم كيف أصحاب المختار
نشعر عنهم يا فهم ونشكر سيد الفرسان

2- مدح الشاعر بن صحراوي للأمير عبد القادر (العقريب نعيمة ، 2019):

ابن محي الدين رايس ذاك الجيش الزين
زَهو الدارين وأعطاهم رب العُلُيا

3- مدح الشاعر عبد القادر خليفى للشيخ بوعمامة (العقريب نعيمة، 2019):

الشيخ بوعمامة حرك تحريكتين طيح مائتين

الشيخ بوعمامة حرك تحريكتين نشهم كي الذبان

4- صور الشاعر عبد القادر الوهراني احتلال الجزائر ودعا الى الجهاد من خلال هذه القصيدة (العقريب نعيمة، 2019):

الأيام ياخواني تبدل ساعاتها والدهرينقلب ويولي في الحين

بعد كان سنجاق البهجة ووجاقها الأجناس تخافها في البر وبحرين

الفرانسييس حرك لها وخذاها لاهي ميات مركب لاهي ميتين

غاب الحساب وادرك تلف حسابها الروم جاو للبهجة مشتدين

5- كما كان مفدي زكريا المناضل في حزب " نجم شمال إفريقيا " مجاهدا بالكلمة فقصائده كلها كلمات محشوة ومشحونة ومدونة للمسيرة التاريخية للكفاح الجزائري، فكثيرا ما حركت كلماته المشاعر وزعزعت الفضاءات، وعبرت بقوة عن الحرية والاستقلال فنجدته يقول: فداء الجزائرروحي ومالي ألا في سبيل الحرية.

فليحي حزب الاستقلال نجم شمال افريقية.

ولتحي الجزائر مثل الهلال ولتحي فيها العربية.

ويقول رافضا لسياسة الاندماج :

فلسنا نرضى الامتزاجا ولسنا نرضى التجنيسا!

ولسنا نرضى الاندماجا ولا نرتد فرنسيسا!

اذن يتضح من خلال ما استعرضناه ان " الشعر هو لسان حال الثورات المسلحة، وصوت الشعب المنبعث من جوف المعتقلات وساحات القتال، يساير الثورات ويحدوها وهو يحمل الكلمة التي تفعل أكثر من فعل النار وتستطيع ان تخترق حصارها." وبالتالي فالشعر الشعبي لعب دورا رياديا في تشكيل الآراء والمواقف وتسيير الشأن العام خلال الحقبة الاستعمارية.

4. مؤسسات الفضاء العمومي والحركة الوطنية :

1.4 الجمعيات واستراتيجيات تعزيز الروح الوطنية وتنمية الفكر التحرري في الجزائر ابان الحقبة الاستعمارية:

تأسست جمعية العلماء المسلمين بتاريخ 05 ماي 1931 بالعاصمة، ركز مؤسسوها جهودهم في الدفاع عن هوية العربية الإسلامية للجزائريين رافعين الشعار الخالد «الإسلام ديني والعربية لغتي والجزائر وطني». اتخذت الجمعية في كفاحها ضد المستعمر الفرنسي استراتيجية خاصة اتسمت في عمومها بالحياد باعتبارها جمعية إصلاحية دينية تربوية لا علاقة لها بالسياسة، وانما تطمح الى التعليم ومحاربة الخرافات، وهذا ما أكدده أبو القاسم سعد الله بان " العلماء لم يكونوا لا ثوريين مثل نجم افريقيا الشمالية ولا موالين للفرنسيين مثل الليبراليين، لقد كانوا قبل كل شيء مصلحين وطنيين " (أبو القاسم سعد الله 1977، 430).

اتخذت الجمعية استراتيجيات اتصالية مختلفة لتبليغ رسالتها الإصلاحية والدينية والدفاع عن الهوية العربية الإسلامية للجزائريين وتوحيد الامة حول كلمة الحق ثم تحقيق الأهداف السياسية التحررية ، وبالتالي الجمعية كان لها مجموعة من الأهداف التي تطمح لتحقيقها عبر نضالها ذو الطابع الإصلاحي التربوي ومنها : " نشر اللغة العربية بين أبناء وبنات الجزائر على نطاق واسع ، إحياء الثقافة العربية الإسلامية في الجزائر بعد أن كادت أن تندثر ، بعث التاريخ العربي الإسلامي، توجيه الجزائريين إلى وجهة وطنية تتعارض تعارضا كاملا مع سياسة الاحتلال ، إعداد صفوة من الرجال والنساء كانوا عمدة ل نهضة الجزائر قبل الاستقلال وجنودها في معركة التحرير وبُناتها بعد الاستقلال، تنظيم بعثات تعليمية لخَرّجي مدارس الجمعية ومعاهدها إلى المشرق العربي ، إصلاح أساليب التعليم وطرق التدريس، إصلاح الكتب المدرسية، غرس مكارم الأخلاق في نفوس الشَّباب، ومحاربة البدع والردائل والضلالات".

2.4 الصحافة كوسيلة للإعلام والتعبئة الشعبية:

يعد قطاع الاعلام والصحافة من بين اهم مؤسسات الفضاء العمومي الذي يعود له الفضل في اعادة رسم معالم الخريطة السياسية والتاريخية، لان وسائل الاعلام لها القدرة الهائلة على مخاطبة الجماهير العريضة واعلامها واخبارها وتوعيتها في الكثير من الأحيان، خاصة الصحافة المكتوبة التي استغلت من قبل قادة الحركة الوطنية الجزائرية والذين تمكنوا من بإصدار العديد من الصحف المناهضة لفرنسا وذلك على النحو التالي:

1/ صحافة الأمير خالد:

انتهج الأمير خالد سياسة التفاوض مع الدولة المحتلة فأسس هيئة سياسية تحت اسم "وحدة النواب المسلمين"(محفوظ قداش ،1987،53) واتخذ من الصحافة وسيلة وسلاح لتحقيق أهدافه:

* جريدة الإقدام باللغة الفرنسية: أصدرها في فيفري 1919(أبو القاسم سعد الله،1977، 390)، كان هدفها توحيد القوى الوطنية في سبيل الدفاع عن الحقوق السياسية والاقتصادية لمسلمي شمال إفريقيا.

* جريدة الإقدام باللغة العربية و الفرنسية : أصدرها في سبتمبر 1920 حيث ظهرت محتوية على صفحتين باللغة العربية وأربع صفحات باللغة الفرنسية (محفوظ قداش،1987،52) ، فكان الخط السياسي للجريدة يوضح اتجاهها الوطني، رافضة التجنيس رفضا قاطعا مطالبة بتمثيل الأهالي الجزائريين بالبرلمان الفرنسي ومقاومة النزعة العنصرية للمعمرين، وبالتالي تعتبر جريدة الإقدام أول جريدة عربية تصدر في الجزائر كانت تمثل الروح الوطنية وتعكس وجهة نظر أصحابها بلهجة وعبارات عنيفة "إن الاضطهاد الفرنسي لا يجسده اضطهاد الألمان ولا الإنجليز في شيء، وإذا كانت سياسية الإدارة المحلية مبنية على أساس قوامه تحطيم اللغة و الدين و الإفكار، فإنها قد نجحت كليا، لأن السكان جهال و الدين ضعيف و الفقر كاد أن يكون عاملا شاملا..." (أبو القاسم سعد الله،1977، 401) ، فركز الأمير خالد في مطالبه الوطنية على الدين الإسلامي واللغة

العربية باعتبارها مكون أساسي للهوية الجزائرية حيث عبر عن ذلك في جريدته الإقدام بقوله " الجزائريون لا يستطيعون قبول المواطنة الفرنسية داخل أي إطار غير إطارهم الخاص "(محمد ناصر، بدون سنة، 50)، إلا أن الجريدة توقفت عن الصدور في مارس 1923 (بوعزيز يحيى، بدون سنة، 45-46) بعد أن صدر منها 120 عددا نظرا للمضايقات الفرنسية والشكاوى ضد الجريدة من قبل الموالين للاستعمار وكذا فرض غرامات مالية باهظة ضد الجريدة.

2/ صحافة التيار الاستقلالي:

لجأ مصالي الحاج إلى الصحافة كسلاح وأداة يدافع من خلالها عن آرائه ومواقفه واتجاهات أحزابه الثورية ولعل أهم هذه الصحف ما يلي:

*صحافة نجم شمال إفريقيا: الإقدام الباريسي، إقدام الشمال الإفريقي، إقدام نجم إفريقيا شمالية، جريدة الأمة.

*صحافة حزب الشعب:

- جريدة الشعب: صدرت في شهر أوت 1937 (محفوظ قداش، قنانش محمد، 1993، 182) جاء عنوانها " الشعب" عاكسا لاسم الحزب، حيث تقدم توجهاته وتشرح مواقفه، صدر منها عددان فقط، كانت تحمل شعار " إرادة الشعب من إرادة الله وإرادة الله لا تقاوم "(جريدة الشعب، العدد 19 جمادى الثانية 1356 للهجرة، 27 أوت 1937) وهي إشارة إلى رفع لواء الجهاد في سبيل الله، وكان يكتب تحت العنوان (الشعب) عبارة « لسان الحركة الوطنية بالجزائر المسلمة العربية » وهذه العبارة تؤكد على أن جريدة الشعب هي الناطق باسم الحركة الوطنية، وتحتوي الجريدة على كل الآراء المناهضة للاستعمار الفرنسي حيث اعتبرت كمؤسسة للجهاد في سبيل تحرير الجزائر، وبعث اللغة العربية بين فئات المجتمع الجزائري، و يحدد أهدافها مصالي في قوله: " سترفع الراية خافقة على عرصات البلاد وستصرخ صرختها الداوية على هياكل الظلم والاستبداد وستجاهد بقوة وحكمة وحرصانة

عن حقوق هذه الأرض العربية المقدسة " (ابو القاسم سعد الله ، 1975، ص155)، ونظرا لهذه الأغراض الجريئة عملت السلطات الاستعماري على ايقافها في سبتمبر 1937 .
- جريدة البرلمان الجزائري: أسست في 18 ماي 1939 صدرت باللغة الفرنسية وتعود تسميتها حسب الباحثين إلى تصريح مصالي الحاج في قوله: " إن الهدف الأساسي للحزب هو إحلال برلمان جزائري محل المجالس المالية وانتخاب البرلمان المذكور عن طريق الاقتراع العام " (بو حوش عمار، 1997، 298).

صدر منها 07 أعداد، ومن بين المقالات التي نشرتها، مقال بعنوان " حزب الشعب الجزائري " من أجل استقلال الشعب الجزائري في 17 جوان 1939 والذي وضحت فيه برامج الحزب. سياسة الجريدة كانت واضحة من خلال طريقة إخراجها، حيث كتب في أعلى يسار الصفحة وتحت التاريخ والتمن والعدد وبحروف كبيرة باللغة الفرنسية (العنوان)، وتحتته كتب باللغة الفرنسية (هيئة للدفاع وتحرير الشعب الجزائري)، أما على اليمين كتب الآية القرآنية «واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا»، وتحتها العنوان باللغة العربية (البرلمان الجزائري) وفي هلال متجه إلى فوق كتب داخله (حقوق الجزائر العربية). هدف الجريدة واضح وهو الدفاع عن حقوق الشعب الجزائري والمطالبة بتمثيله كقوة فاعلة في المجتمع، وكذا الدعوة إلى الاتحاد من أجل إحراز الاستقلال والمحافظة على الهوية العربية الإسلامية للجزائريين كما يدرج خطاب هذه الجريدة في بعض النشاطات الدبلوماسية للحزب بهدف تدويل القضية الجزائرية، الأمر الذي خلق جو من التعاطف مع القضية الوطنية الجزائرية.

3/ صحافة جمعية العلماء المسلمين:

قام ابن باديس بتوظيف بعض الطاقات من رجال الإصلاح في الجزائر، وتحفيزهم على العمل في إطار الجرائد التي بدأ يصدرها ابتداء من عام 1925 ونذكر منها:

* المنتقد: تأسست في 02 جويلية 1925 في قسنطينة وساعده في ذلك السيد أحمد بوشمال (بحوش عمار. ص 248) وكان من بين محرريها الطيب العقبي و مبارك الميلي،

كان شعارها " الحق فوق كل واحد و الوطن قبل كل شيء " أما سياسة الجريدة فكانت واضحة في العدد الأول، حيث نشر مقال بعنوان (مبدؤنا و غايتنا وشعارنا) و كتب في مستهل المقال ما يلي " باسم الله، ثم باسم الحق والوطن ندخل عالم الصحافة العظيم شاعرين بعظمة المسؤولية التي نتحملها فيه، مستسهلين كل صعب في سبيل الغاية التي نحن إليها ساعون، والمبدأ الذي نحن عليه عاملون " (جريدة المنتقد، العدد الأول، 2-1925-07). كانت لهجة المنتقد عنيفة جدا ضد تصرفات الإدارة الفرنسية، كما أنها شنت هجمات على الطريقة التي يصفها ابن باديس بعلّة العلل، فيقول " إن كل ما هو متفش في الأمة من ابتداع في الدين وضلال في العقيدة وجهل بكل شيء وغفلة عن الحياة والحاد في الناشئة، فمنشؤه من الطريقة ومرجعه إليها..."(بحوش عمار، 1997، 245) ضف إلى ذلك مساندة الصحيفة لثورة الأمير عبد الكريم في الريف المغربي (زهير احدا دن. 1991. 36)، هذه المواقف، شجعت السلطات الفرنسية على إصدار قرار وزاري يقضي بإيقاف الجريدة، بحجة أنها تثير نزعات سياسية تهدد الأمن العام في أوساط الأهالي، " فمنعت عن الصدور في شهر نوفمبر من عام 1925، بعد أن صدر 18 عدد منها..."(بحوش عمار، 1997، 245).

* جريدة الشهاب: أصدر عبد الحميد بن باديس في نفس السنة 1925 جريدة الشهاب والتي تحولت عام 1929 إلى مجلة شهرية، وكان شعارها «تستطيع الظروف أن تكيفنا ولا تستطيع بإذن الله إتلافنا». كانت لهجتها أخف من المنتقد، الأمر الذي سمح لها بالاستمرار دون توقف حتى قيام الحرب العالمية الثانية، حيث سجلت الشهاب في أواخر الثلاثينات تطورا واضحا، في معالجة القضايا ذات الطابع السياسي الوطني، " وتميزت بالدفاع عن أصالة الشعب الجزائري أمام محاولات الفرنسية والتجنيس، ورأت في الاستقلال حق طبيعي لكل الشعوب، واستمرت الشهاب في صدور حتى عام 1939..."(بحوش عمار، 1997، 245) عندما أوقفها ابن باديس بنفسه عشية إعلان الحرب العالمية الثانية

لأنه رفض أن تكون أداة في يد الإدارة الفرنسية التي وضعت الصحف تحت إشرافها المباشر بموجب قوانين الحرب.

* البصائر: ظهر العدد الأول منها 27 ديسمبر 1935 (عواطف عبد الرحمان، 1985، 27)، تولى رئاسة تحريرها الشيخ الطيب العقبي، وكانت في البداية تصدر في العاصمة، ثم انتقلت إلى قسنطينة سنة 1937 (عواطف عبد الرحمان، 1985، 27)، حيث تولى رئاستها المبارك الملي، وقد أوقفتها جمعية العلماء المسلمين من تلقاء نفسها اثر اندلاع الحرب العالمية الثانية، وعادت للظهور مرة أخرى عام 1947 (عواطف عبد الرحمان، 1985، 28)، وكانت تحت إشراف البشير الإبراهيمي ثم توقفت بعد أن أنضم العلماء المسلمين إلى تأييد الكفاح المسلح بقيادة جبهة التحرير الوطني، كانت البصائر بمثابة الناطق الرسمي باسم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وأظهرت تنوعا في مضمونها، يغلب عليه طابع المقالات في مجالات متعددة (التعليم، اللغة العربية، العروبة والإسلام) فهي جريدة فكرية واجتماعية، وأدبية وسياسية.

* السنة النبوية: جريدة صدرت في باريس 1933 (عواطف عبد الرحمان، 1985، 29)، بقسنطينة هدفها نشر الدين الإسلامي خاليا من كل الخرافات والأباطيل وتوقفت بقرار حكومي بعد أربعة أشهر من صدورها.

* الشريعة: جريدة أسبوعية، صدرت بقسنطينة في جويلية 1933، تحت إشراف " ابن باديس"، وتعتبر نسخة لجريدة السنة النبوية المعطلة، توقفت بعد صدور العدد السابع في أوت 1933.

* الصراط السوي: جريدة وطنية تحت إشراف " ابن باديس " صدرت سنة 1933 وتعتبر امتداد للجريدتين السابقتين، توقفت عن الصدور في جانفي 1934 بعد صدور سبعة أعداد منها.

3.4 أحزاب الحركة الوطنية الجزائرية وتسييس الفضاء العمومي:

يعد نشاط وكفاح أحزاب الحركة الوطنية بمختلف تياراتها عاملاً أساسياً في تفعيل عمل مؤسسات الفضاء العمومي بطريقة جديدة وأكثر نظامية، حيث اعتبرت الأحزاب مؤسسات هامة في تشكيل الآراء والدفاع عن حقوق الجزائريين مستغلين قطاع الصحافة والاعلام كوسيلة للتواصل مع المواطنين وإيصال صوت الجزائر الى الخارج وبذلك ساهمت أحزاب الحركة الوطنية ووسائل اتصالها المختلفة (صحافة، مناشير، خطابات، تجمهرات، مؤتمرات، ...) في احداث نقلة نوعية في طبيعة ووظيفة الفضاء العمومي الجزائري في هذه المرحلة حيث بدا يشهد نوعاً من الحرية في المطالبة بحقوق الجزائريين السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والدينية وذلك حسب أيديولوجية وتوجه كل تيار حزبي، فالتيار الاندماجي طالب بالمساواة والتيار الإصلاحي طالب بالمحافظة على الموروث الهوياتي والحضاري للمجتمع الجزائري اما التيار الاستقلالي فكان اكثر جرأة في سياسته وفي مطالبه الاستقلالية المحضة .

ان العمل السياسي والاتصالي لأحزاب الحركة الوطنية خلال الثورة التحريرية الكبرى وما قبلها سطر لفكر سياسي جديد حاولت من خلاله التأسيس للدولة الجزائرية الحديثة ضمن اطر أيديولوجية اكثر جرأة ووضوح من خلال طرح البدائل وتسطير السبل وتحديد الاليات والميكانيزمات في رحم فكر استراتيجي مهيكل ومقوّل يطمح لتجسيد الدولة الديمقراطية الاجتماعية الحديثة ذات السيادة والسلطة في اطار ما يحدده الدين الإسلامي وما تتطلبه الهوية العربية ، وهذا ما جسده مختلف مواثيق الثورة التحريري الكبرى بداية من بيان اول نوفمبر، ميثاق الصومام ، اتفاقية ايفيان .

4. خاتمة:

لقد شهد الفضاء العمومي الجزائري ابان الفترة الاستعمارية صراع كبير حيث عمل قادة المقاومة الجزائرية على استغلال مؤسساته للمحافظة على الهوية الجزائرية فقد تم التخطيط استراتيجيا لتفعيل الالية الاتصالية بمختلف وسائلها لمواجهة السياسات الفرنسية التي حاولت إعادة بناء المنظومة الاجتماعية الجزائرية ككل وفقا للنموذج الفرنسي والتي استغلت هي بدورها أيضا كل مؤسسات الفضاء العمومي بما فيها الصحافة والمدارس والمساجد والزوايا وغيرها إدراكا منها لقدرة هذه المؤسسات في مساعدتها على تطبيق مشروعها الادماجي الاستعماري، لذلك يعد البحث في اشكالية مؤسسات الفضاء العمومي واليات هندسة الفكر التحرري في الجزائر من المواضيع الجد مهمة في التاريخ السياسي والإعلامي والاتصالي الجزائري الامر الذي يفرض على الباحث الغوص في بحر تاريخ الجزائر العميق خصيصا منذ الحقبة الاستعمارية الفرنسية لان نتائجها لازالت تلقي بظلالها على الساحة الاتصالية السياسية الجزائرية لحد الساعة لتأثيرها الكبير في هندسة الفكر السياسي الجزائري الذي يعد نتاج حقبة تاريخية متعاقبة، طبع وصبغ بفلسفات وايدولوجيات وخلفيات ذات ابعاد ومنايع ومشارب مختلفة ومتناقضة ومتضاربة في كثير من الأحيان.

5. قائمة المراجع:

• المؤلفات:

- أبو القاسم سعد الله، 1977، الحركة الوطنية الجزائرية (1900-1930)، الجزائر، دار نافع للطباعة .
- بوعزيزي، بدون سنة، الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية الجزائرية من خلال نصوصه (1912-1948)، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية.
- بوحوش عمار، 1997، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، بيروت، دار الغرب.
- زهير احداث، 1991، تاريخ الصحافة المكتوبة في الجزائر، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية.
- محفوظ قداش، قنانش محمد، 1993، حزب الشعب الجزائري (1937-1939)، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية.

محفوظ قداش، الجيلالي صاري، 1987، المقاومة السياسية (1900-1954) الطريق الإصلاحي والطريق الثوري، الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية .
محمد ناصر، بدون سنة، الصحف العربية الجزائرية من 1847_1939، الجزائر، الشركة الوطنية للطباعة والنشر.

مالكي أحمد، 1994، الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.

سعيد طالب محمود، 1994، الدولة الحديثة والبحث عن الهوية، عمان، دار الشروق .
عواطف عبد الرحمان، 1985، الصحافة العربية في الجزائر: دراسة تحليلية لصحافة الثورة الجزائرية، 1954-1962، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب

• المقالات:

براشيش نصر الدين، المقاومة في الشعر الشعبي الحديث " ثورة الزعاطشة نموذجا"، مجلة الحقيقة ، العدد 43، الصفحات 115-138.
فتوح محمود، 2020، الثورة التحريرية في الشعر الملحون بمنطقة الحضنة "شعر عبد الرحمن بن عيسى نموذجا"، مجلة موازين، المجلد 2، العدد 2، الصفحات 27-39.

• الجرائد:

جريدة المنتقد، 2-7-1925، العدد الأول.
جريدة الشعب، 27 أوت 1937، العدد 19.

• مواقع الانترنت:

العقريب نعيمة ، تجليات المقاومة والنضال في الشعر الشعبي ، <https://manifest.univ-ouargla.dz>

• قائمة المراجع باللغة الفرنسية:

A. cottereau et Paul Iadrière ,1992, pouvoir et légitimité, paris ,éd l'école des hautes études en sciences sociales